

شهر الفضائل

تأليف

فضيلة الشيخ الدكتور

سعد بن سعيد الحجري



بسم الله الرحمن الرحيم شهر الفضائل

الحمد لله الكريم المنان فرض صيام رمضان وانزل فيه القرآن ،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الرحيم الرحمن فتح
في رمضان أبواب الجنان وأغلق أبواب النيران وصدف الشيطان ،
وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله كان يُبشر بمرضان ويحث
فيه على الإحسان صلى الله وسلم عليه كلما أهل رمضان وزاد
الإيمان ، وَقَلَّ العصيان وعلى آله وصحبه ومن سلك طريقه إلى
يوم الدين، أما بعد :

فإن الله يخلق ما يشاء ويختار ، ولا يختار إلا الأختيار ، خلق
السموات السبع ، واختار منها السماء السابعة ، لأنها أقرب
السموات إليه ، وسكانها أقرب الخلق إليه ، وكلما قرب
المخلوق من الخالق كان أفضل ، وخلق الجنان ، واختار منها
جنة الفردوس ، لأنها أعلى الجنة ووسط الجنة، وسقفها عرش
الرحمن ، يقول ﷺ : (وإذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس
لأنها أعلى الجنة ووسط الجنة وسقفها عرش الرحمن ومنها

تفجر أثمار الجنة)، وخلق الملائكة واختار منهم ثلاثة جبرائيل وميكائيل واسرافيل، لأن جبريل هو الموكل بالوحي الذي به تحيا القلوب، ولأن ميكائيل هو الموكل بالمطر الذي به تحيا الأبدان، ولأن اسرافيل هو الموكل بالنفخ في الصور الذي به يبعث الناس من القبور إلى الحشر والنشور، ولأن النبي ﷺ خصهم بالذكر في صلاة الليل فقال (اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون)، وخلق تعالى البشر واختار منهم أهل الإيمان، واختار من أهل الإيمان الأنبياء، واختار من الأنبياء الرسل، واختار من الرسل أولي العزم، واختار من أولي العزم الخليلين، واختار من الخليلين محمد عليهم الصلاة والسلام، وخلق الأمم واختار منها أمة محمد ﷺ، فهم أول الأمم يوم القيامة، وهم أول من يدخل الجنة من الأمم، وهم خير الأمم، وهم ثلثا أهل الجنة، يقول تعالى

(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ

بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ

بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا

لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمْ

الْفَاسِقُونَ ﴿١١﴾، ويقول ﷺ (إنكم توفون سبعين أمة

أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى)، وخلق الله الأرض

واختار منها مكة لأن الله حرمها يوم خلق السموات والأرض،

فلا يسفك فيها دم، ولا يعضد فيها شجر، ولا يصاد فيها

صيد، ولا تلتقط لقطتها إلا لمنشد، ولأنها قبلة المسلمين، وفيها

المشاعر المقدسة، وهي أحب بلاد الله إلى الله وأحب بلاد الله

إلى رسوله ﷺ، وفيها أول مسجد وضع في الأرض وهو

المسجد الحرام، ولأن الصلاة فيها بمائة ألف صلاة، وخلق

الليالي والأيام، واختار من الساعات اليومية ساعة الليل وهي

في جوف الليل الآخر لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله شيئاً إلا

أعطاه إياه، يقول ﷺ : (إن في الليل لساعة لا يوافقها عبد مسلم يدعو الله بشيء من أمر دينه ودنياه إلا أعطاه الله إياه وذلك كل ليلة)، واختار من الساعات الأسبوعية ساعة الجمعة ، وهي آخر ساعة في الأسبوع وآخر ساعة بعد العصر يوم الجمعة يقول ﷺ : (إن في الجمعة لساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي إلا أعطاه الله ما سأل)، واختار من الأيام يوم الجمعة، فهو سيد الأيام ، وهو خير يوم طلعت عليه الشمس ، فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة، وفيه اخرج منها، وفيه تقوم الساعة، واختار من الليالي ليلة القدر لأنها خير من ألف شهر ولأن القرآن نزل فيها، واختار من العشر ، العشر الأولى من ذي الحجة باعتبار النهار، يقول ﷺ (ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام)، أي أيام العشر ، واختار عشر رمضان الأخيرة باعتبار الليل ، واختار من الشهور شهر رمضان وملاه بالفضائل العظام التي لا تعد ولا تحصى، فهو خير الشهور، وهو سيدها، ولياليه أفضل الليالي وأعماله من أفضل الأعمال، والراجحون فيه كثير والخاسرون قليل، ولعلي أن أذكر

ببعض فضائل هذا الشهر ليتنافس فيه المتنافسون، ويجتهد فيه

المجتهدون، ويشمر فيه المشمرون ، فمن هذه الفضائل :

(١) أنه شهر البشارة لأن رسول الله ﷺ كان يبشر به أصحابه

وما كان يبشرهم بشهر سواه وهذه البشارة للأمة كلها يقول

في البشارة الأولى : (قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك

افترض الله عليكم صيامه تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق أبواب

الجحيم وتغل فيه الشياطين فيه ليلة خير من ألف شهر من

حرم خيرها فقد حرم)، وفي هذا الحديث ثمان بشارات:

الأولى: الإخبار برمضان للاستعداد له .

الثانية: بركته على الفرد والأسرة والمجتمع.

الثالثة: فرض صيامه لإكمال الدين وتمام الإسلام.

الرابعة: فتح أبواب الجنة فيه.

الخامسة: غلق أبواب النار.

السادسة: تصفيد الشياطين وسلسلتهم.

السابعة: أن فيه ليلة خير من ألف شهر وهي ليلة القدر.

الثامنة: أن من حرم خير هذه الليلة فقد حرم.

ويقول في البشارة الثانية : (إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يُفتح منها باب وفتحت أبواب الجنة فلم يُغلق منها باب وينادى مناد يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر والله عتقاء من النار وذلك كل ليلة).

وفي هذا الحديث ست بشارات :

الأولى: حبس الشياطين بالقيود.

الثانية: غلق أبواب الجحيم.

الثالثة: فتح أبواب الجنة.

الرابعة: الإقبال إلى الخير والتنافس فيه.

الخامسة : الإدبار عن الشر والبعد عنه .

السادسة: أن الله عتقاء من النار وذلك كل ليلة.

وقد ثمن السلف هذه البشارة كانوا يدعون الله ستة اشهر أن يبلغهم رمضان وكان من دعائهم " اللهم سلمني إلى رمضان، وسلم لي رمضان، وتسلمه مني متقبلاً " .

٢ - أنه شهر كثرة الأجر لأن ثوابه بغير حساب لا يتقيد بعدد وإنما بغير عدد ولا مقدار ولأنه شهر الصبر والله يوفي الصابرين

أجرهم بغير حساب يقول تعالى : (مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا

يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ

أَوْ أُتِيَ بِهِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ

الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٤﴾ الآية ، ويقول

: (إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ

﴿٤٤﴾ ، ويقول ﷺ : (صم شهر الصبر رمضان) ، ويقول (

كل عمل ابن آدم له الحسنه بعشر أمثالها يضاعفها الله إلى سبعمائة ضعف قال الله : إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به).

٣ - أنه الشهر الوحيد الذي ذكر باسمه في القرآن، ولم يذكر الله في القرآن شهراً باسمه سواه، وهذا يدل على شرفه، ورفعته،

مكانته، وعالمية اسمه، إذ يعرفه الجن والإنس، وأهل السماء، وأهل الأرض، والعرب، والعجم، قال تعالى (شَهْرُ رَمَضَانَ

الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ
وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ).

(٤) أنه الشهر الذي انزل الله فيه القرآن وكان نزوله في ليلة القدر، يقول تعالى (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾)،

ويقول (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ ﴿٢﴾) إِنَّا كُنَّا

مُنذِرِينَ ﴿٣﴾، وكان نزوله مع جبريل عندما قال لرسول

الله ﷺ (اقرأ ثلاث مرات ثم تلا عليه اقرأ باسم ربك الذي

خلق)، فهو شهر القرآن نزولاً، وشهر القرآن كثرة قراءة، ولذا كان السلف يعمرونه بالقران، كان البعض يحتمه في كل يوم مرتين، والبعض يحتمه في كل يوم مرة، والبعض في اليومين مرة،

والبعض في الثلاثة الأيام مرة، وهي الأكثر من حالهم يقول ﷺ لابن عمر (واختمه في كل ثلاثة أيام مرة).

٥ - أنه الشهر الذي نزلت فيه الكتب السماوية على الأنبياء السابقين ، وعلى الأمم الماضية ، فهو شهر حافل بالوحي ، وحافل بالخير ، وحافل بإصلاح المجتمعات ، وأنزلت صحف إبراهيم في الليلة الأولى منه، وأنزلت التوراة في الليلة السادسة، وأنزل الإنجيل في الليلة الثالثة عشر ، وأنزل الزبور في الليلة الثامنة عشرة ، وأنزل القرآن في الليلة الرابعة والعشرين، يقول ﷺ : (أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان ، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان ، وأنزل الفرقان لأربع وعشرين خلت من رمضان).

٦ - أنه شهر الصيام فلم يأمر الله بالصيام إلا فيه، ولم يأمر بالصيام في غيره، وجعل صيامه ركن من أركان الإسلام، قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ

الصَّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ الآية ، وقال ﷺ (بني الإسلام على

خمس شهادة أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً) ، وجعل صيامه يكفر الذنوب الماضية يقول ﷺ (من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) ، وفرض الصيام فيه يدل على شرف زمانه .

٧ - أنه شهر القيام فقد شرع الله قيام لياليه ، وقام ﷺ بأصحابه ليلتين أو ثلاث وخشي أن يفرض عليهم فقاموا بعده ولم يشرع القيام جماعة إلا في ليالي رمضان لشرف لياليه وقيام رمضان يغفر الله للقائم ما تقدم من ذنبه ، بل وقيام ليلة القدر يغفر للقائم ما تقدم من ذنبه بل ويخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه يقول ﷺ (من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) ، ويقول : (إن الله فرض عليكم صيام رمضان

وسنت لكم قيامه فمن صامه وقامه احتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه .)

٨ - أنه شهر الاعتكاف وملازمة المسجد والسلامة من فضول النظر وفضول الكلام وفضول السمع وفضول الصحبة وفضول الأكل وفضول النوم ، فقد اعتكف ﷺ العشر الأولى من رمضان ثم اعتكف العشر الوسطى ثم اعتكف العشر الأخيرة ، وفي العام الذي توفي فيه اعتكف عشرين ليلة ، العشر الوسطى والعشر الأخيرة .

٩ - أنه شهر الجود والصدقة لأن الله جاد على عباده بكثرة الطاعات وبكثرة الحسنات وجاد عليهم بمغفرة السيئات وبالسبق إلى الخيرات وبحفظ الأوقات ، ولأن الصائم بحاجة إلى إعانتة على صيامه وقيامه وإغنائه عن الكسب ليفرغ للطاعة ولأن الله جمع بين الصيام والصدقة في كتابه قال تعالى :

وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّيِّمِينَ

وَالصَّيِّمَاتِ) الآية ، وجمع بينهما الرسول ﷺ في سنته يقول لأصحابه : " من أصبح منكم اليوم صائماً ، ومن عاد منكم اليوم مريضاً ، ومن تبع جنازة ومن أطعم مسكيناً ، وأبو بكر يقول : أنا قال : لا يجتمعن في عبدٍ إلا دخل الجنة) ، ويقول : (إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدّها الله لمن أطاب الكلام ، واطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام) .

١٠ - أنه شهر جهاد النفس ، لتطمئن بشواب الله وتطمئن برزق الله ، وتطمئن بقضاء الله وقدره ، ولتزكو وتطهر من الذنوب والسيئات وتعود إلى فطرتها التي فطرها الله عليها ، ومجاهدة النفس في رمضان بترك مألوفاتها من الطعام والشراب والنكاح والنوم وإلزامها بطاعة الله تعالى وقد وعد الله أهل المجاهدة بالجنة ووعدهم بالإحسان وبالهداية ، ووعدهم بنيل درجة الجهاد وبالظفر بالمطلوب وبالنجاة من المرهوب وبالتميز على غيرهم .

١١ - أنه شهر فتح أبواب الجنة الثمانية فلا يغلق منها باب يفتح باب الصلاة للجمع فيه بين الفرائض والرواتب والنوافل والركعات فيه أكثر منها في غيره ، ويفتح باب الصدقة لأن رسول الله علمنا الجود فيه ، إذ كان في رمضان أجود من الريح المرسلة ، ويفتح باب الريان لأنه شهر الصيام ، ويفتح باب الجهاد لمجاهدة النفس والشيطان والأعداء ، ويفتح باب الحج لأنه عمرة في رمضان تعدل حجة مع النبي ﷺ ويفتح باب الذكر لأنه شهر الذكر والقرآن والدعاء والدعوة وقوى الخير ، ويفتح باب البر لأن النبي ﷺ قرن بينهما في قوله : (من أدرك أبويه أو أحدهما فلم يدخله الجنة أبعد الله ، قل : آمين ، فقال : آمين ، ومن أدرك رمضان فلم يغفر له أبعد الله ، قل : آمين ، فقال : آمين ، ويفتح باب كظم الغيظ لأن الرسول ﷺ قال : فإن سابك أحدٌ أو شاتمك فقل : إني صائم) .

١٢ - أنه شهر غلق أبواب النار ، وما غلقها إلا لسلامة قلوب الصائمين من أمراضها ، وسلامة ألسنتهم من آفاتهما ، وسلامة جوارحهم من آثامها ، وسلامة تعاملهم من الإساءة للآخرين ،

وسلامة المجتمع من الشر والفساد وما غلقها إلا لأن الصائم حفظ نهاره بالصيام ، وليله بالقيام ، ومجالسه بالقرآن ، وماله بالإنفاق ، وفي غلقها دعوة للعاصي أن يتوب ودعوة للغافل أن يستيقظ ، وفراره من النار ، واتجاهه إلى الجنة ، يقول ﷺ : (إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب النار ، وصدت الشياطين) .

١٣ - تصفيد الشياطين وسلسلتهم فلا يخلصون في رمضان إلى ما كانوا يخلصون إليه في غيره، فهو وقاية من شر الشيطان ونفثه، ونفخه وإغوائه.

١٤ - أنه شهر الرسالة ، فقد أوحى إلى النبي ﷺ فيه ، وبعث إلى الأمة فيه ، ونُبي فيه ، وأُرسل إلى الأمة فيه ، عندما جاءه جبريل وهو في غار حراء يتحنث فقال له (أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ

الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾) فهو شهر سعادة للأمة كلها .

١٥ - أنه شهر مغفرة ما تقدم من الذنوب ، لكثرة أسباب المغفرة فيه ، إذ من صامه وقامه إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه .

١٦ - أنه شهر الصبر لأن الصائم يصبر على الصيام وعلى القيام وعلى قراءة القرآن وعلى الطاعات ، ويصبر عن المفطرات جميعاً ، ويصبر على ألم الجوع والعطش والسهر ، يقول ﷺ :
(شهر الصبر وثلاثة أيامٍ من كل شهر يذهبن وحر الصدر) .

١٧ - أنه شهر ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر والتي نزل القرآن فيها، وتزل الملائكة ويتزل جبريل، وهي سلام من كل أذى.

١٨ - أنه شهر الشكر، شكر الله على إدراك الصيام والإعانة عليه وعلى القيام وعلى الدعاء وعلى النفقة وعلى المغفرة وعلى فتح أبواب الجنة وغلق أبواب النار وتصفيد الشيطان.

١٩ - أنه شهر إجابة الدعاء لأن الله تعالى ذكر آية الدعاء في

ثنايا آيات الصيام ، قال بعد آيات الصوم الأولى : (وَإِذَا

سَأَلَكِ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أَجِيبُ دَعْوَةَ

الِدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي

لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ، وقال ﷺ : (ثلاث

دعوات مستجابات ومنها دعوة الصائم) .

٢٠ - أنه شهر السبق إلى الخيرات ، والإقبال على الخير ، لأن
المنادي ينادي يا باغي الخير أقبل.

٢١ - أنه شهر التوبة من السيئات والإبتعاد عن الشر قال : (يا
باغي الخير أقبل ، ويا باغي الشر أقصر) .

2٢ - أنه شهر العتق من النار، قال ﷺ : (والله عتقاء من النار
وذلك كل ليلة) .

3٢ - أنه شهر الجهاد والانتصار على الأعداء، إذ انتصر
المسلمون على عدوهم في بدر، وقتلوا منهم سبعين، وأسروا
منهم سبعين، وانتصروا عليهم في رمضان يوم فتح مكة، ودخلوا
مكة بلا قتال، وفيه فتحت الأندلس وغيرها.

٢٤ - أنه شهر العدل والمساواة، إذا يتساوى الناس في صيامه من الفجر الثاني إلى غروب الشمس، تذوب الألوان واللغات والأموال والأنساب والمناصب، فهل علمنا فضل هذا الشهر العظيم، واستبشرنا بدخوله.

٢٥ - أنه شهر حفظ النهار بالصيام.

٢٦ - أنه شهر حفظ الليل بالقيام.

٢٧ - أنه شهر حفظ الأوقات بالذكر والقرآن والدعاء.

٢٨ - أنه شهر حفظ الأموال بالبذل والإِنعام.

٢٩ - أنه شهر حفظ القلوب.

٣٠ - أنه شهر حفظ الألسن من قول الزور.

٣١ - أنه شهر حفظ التعامل من الأذى.

٣٢ - أنه شهر حفظ المجتمع من الشر والفساد.

٣٣ - أنه شهر الصحة للأبدان.

٣٤ - أنه شهر التعاون على البر والتقوى.

٣٥ - أنه شهر التآلف.

٣٦ - أنه شهر التآخي .

٣٧ - أنه شهر التحاب .

٣٨ - أنه شهر الاجتماع.

فهل علمنا فضل هذا الشهر العظيم واستبشرنا بدخوله.

